

تراث قصبة الجزائر في ظل مخطط الحفظ وإعادة الاعتبار لقطاعها المحفوظ

د / وداش ضاوية

قسم علم الاجتماع والديمقراطية

-جامعة الجزائر 02-

تعدّ تراث قصبة الجزائر من أهمّ التراث الحضري والمادي والمعنوي بالقصبة في
الجزائر، حيث إنّها تعتبر لقطاعها المحفوظ، مسطرة الضوء على محتواه ومضمونه
والتراث الحضري الذي سبقتها لبقاء الآن بحكم أنه لا يزال قيد التنفيذ، محاولة في هذا
السياق، محاولة بعض الممارسات الحضريّة الخاصة بسكانه. بحيث وجدنا أن سبب تدهور
هذا التراث يعود إلى قصور المخطط نظرياً بل إلى الجانب التنفيذي والتطبيقي له على
الواقع، والذي يرجع إلى ضعف جهاز المتابعة أثناء التدخلات، والرقابة لسير أشغال
الترميم، وكذا نقص كفاءة بعض العمال غير متخصصين في ميدان الترميم مما ساهم في
تسوية مقارها الأصلي وأفق ثقة المستفيدين بهم وغيرهم بحدية المصالح المتحولة بالتراث
إفناء قصبتهم، والتي ألقت بظلالها وغرست مفاهيم وتصورات بجايلة لدى السكان المحليين
ومضمون عمليات ترميم التراث المسكون. وبالتالي لم يستطع هذا المخطط في مرحلته الأولى
وفي شقه الميداني أن يحقق الأهداف المسطرة لهذه المرحلة لعدة صيرورات ميدانية وتصورية
بعض العراقيل المتعلقة بسكان القصبة بتدخلاتهم العشوائية على فؤادهم بالقيمة
الكلمات المتعاقبة: التراث المادي والمعنوي، القطاع الحضري، الترميم، التوثيق،
الممارسات الاجتماعية، الممارسات الحضريّة بالقصبة

مقدمة:

يعد التراث وإشكالية الحفاظ عليه من المواضيع المهمة المعاصرة المطروحة على بساط البحث لمناقشتها وتحليلها من طرف الباحثين، وهذا لما يسمع به من علاقة بين ماضي الأجداد وحاضر الأبناء ومستقبل الأحفاد، فهو بحث في الماضي لفهم الحاضر من أجل التخطيط للمستقبل. أما عن نشأته وتطوره فيعود إلى بعض الدول الأوربية، وهذا عندما شعر بعض المفكرين بتلك البلدان بضرورة الحفاظ على تراثهم، خصوصا بعد كل ما تعرض له من دمار ناتج عن الحرب العالمية الأولى والثانية وكذا عن الثورة الصناعية وما أتت عليه من تخريب للتراث التقليدي من أجل مواكبة الحداثة والتطور (عاطف سند، غ وآخرون، ب.س)، وعليه فقد تضمن المفهوم في بداية نشأته الحفاظ لكل ما هو قديم إلا أن تطور هذا الأخير وأصبح يحمل مضامين و جوانب شتى وتفرعت أقسامه، فأصبحت تحكمه موثائق واتفاقيات عالمية، مضبوطة بترسانة من القوانين التي ترسخ لتلك الموثائق، هذا ما جعله يأخذ بعدا إنسانيا لا يتعلق بحدود وطن معين. وأصبح الحفاظ على التراث مسؤولية الجميع، فعلى رأي حسن حنفي " التراث هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية" (حنفي، ح. ب. س)، ما جعل بذلك عديد المؤسسات و الهيئات العالمية المختلفة تتدخل للتكفل بمهمة المهمة مثل اليونيسكو وفروعها بالعالم، ومنظماتنا العربية والإسلامية التي تعنى بتراثنا الإسلامي مثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وغيرها ... و عليه فسنحاول من خلال هذه الوريقات التطرق إلى مفهوم التراث وواقعه عندنا وهذا بالتطرق إلى تراث قصبة الجزائر في ظل مخطط الحفاظ وإعادة الاعتبار لقطاعها المحفوظ وهذا إن استطاع أن يحقق هذا الأخير أهدافه في ظل الآليات القانونية والتقنية والبشرية المسخرة لتنفيذه؟ وهل يؤثر على سيرورة ومحتوى الممارسات الاجتماعية الحضرية المميزة لسكان القصبة؟ وعليه فقد ارتكزت فرضيتنا على ضعف آلية الرقابة والمتابعة الميدانية من طرف السلطات لسير أشغال الترميم، ونقص كفاءة اليد العاملة وكذا

التدخلات المنجزة من طرف بعض السكان على دويراتهم، يعرقل تحقيق الأهداف الأولية لمخطط حفظ تراث القصة والتي من شأنها أن تؤثر في شكل و محتوى الممارسات الاجتماعية والحضرية لسكانها.

1- منهجية البحث

لقد اعتمدنا على المنهج التاريخي وذلك من خلال قراءتنا لأغلب التراث التاريخي والثقافي والسوسيولوجي التي تطرق لقصة الجزائر باعتبارها نواة تاريخية وثقافية وحضرية، أما بشأن ثاني منهج تم الاعتماد عليه بشكل أساسي فكان المنهج الوصفي والذي يعرفه (عريفج، سواخرون. 1999) على أنه "طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها"، ولأن الظاهرة المراد دراستها وهي القصة بما تحتويه من تراث مادي ومعنوي بعمقه وغموضه، فقد توجب علينا توصيفا دقيقا لكل ما هو متعلق بها ويؤثر بها من بعيد أو من قريب من خلال التزول الى الميدان و محاولة الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات والتفاصيل الدقيقة المساهمة في بلورة هذا المفهوم بالنسبة لنا و كذا لدى سكان القصة، وهذا ما جعل من الاعتماد على هذا المنهج والاستعانة بتقنياته من الأمر الضروري بما كان.

2- التقنيات المستعملة في جمع المعطيات:

اعتمدنا في اقترابنا الميداني لهاته الدراسة على عدة تقنيات منها : الملاحظة في عين المكان، والتي يعرفها "موريس أنجرس" على أنها تقنية مباشرة للتقصي العلمي تسمح بملاحظة مجموعة ما بطريقة غير موجهة من أجل القيام عادة بسحب كفيي بهدف فهم المواقف والسلوكات " (أنجرس، م. 2010)، والتي استعنت بنوع من أنواعها وهي: الملاحظة بالمشاركة بحيث قمت بمشاركة بعض سكان القصة في حياتهم اليومية والمناسباتية، لكن دون التصريح لهم بطبيعة نشاطي العلمي، فكانت "ملاحظة بالمشاركة

مسترة" كما ساعدتني هاته التقنية في التعرف العميق على المبحوثين وتعلم لهجتهم في الخطاب والتعرف على المعاني الممنوحة من طرفهم لكل المفاهيم التي نحن بصدد دراستها من خلال واقعهم المعاش بالقصبة. وكذا المقابلة غير الموجهة، من خلال إجراء بعض المقابلات مع عدة شخصيات بارزة والمسؤولين المكلفين بالقصبة وتراثها، كما اعتمدت على الاستمارة بالمقابلة: إذ يعرفها مورييس أنجرس على أنها: "وجيز أسئلة يطرحها المستجوب الذي يقوم (في نفس الوقت) بتسجيل الإجابات المقدمة من طرف المستجوب." (ب(أنجرس، م. 2010)، والتي قمت بتوزيعها على العينة المختارة بشكل قصدي أو ما يسمى بالعينة القصدية، فلقد اشتمل مجتمع بحثنا الذي انتقيناه ممثلاً لسكان القصبة على: القدامى والجدد المولودين بالقصبة من غيرهم، الملاك لمنازلهم والمستأجرين والساكين بطرق غير شرعية... وخلافهم بحيث قصدنا بهذه التوليفة أن نبرز الصورة الحقيقية عن واقع القصبة وسكانها بالابتعاد تماماً عن تلك الصورة النمطية القديمة لها التي لطالما تذكر في عديد الخطابات و المناسبات، كما حرصنا على القيام بما في وسعنا من أجل الاقتراب ببعض الفئات التي كان من الممكن أن تمنحنا بمعلومات مهمة لتحديد مسؤوليات السلطات في الحالة الكارثية التي تشهدها القصبة أمثال أولئك المستفيدين من عمليات الترميم والذين لم نستطع مقابلة إلا عدد قليل منهم لرفضهم وتدميرهم لعدة أسباب سنعرفها لاحقاً والتي ذكرها لنا المبحوثين الذين قبلوا بإجراء الاستمارة بالمقابلة معنا، كما استعنا كذلك بعينة الكرة الثلجية والتي يعرفها مورييس أنجرس على أنها "...إجراء غير احتمالي للمعينة معزز بنواة أولى من أفراد مجتمع البحث والذين يقودوننا إلى عناصر أخرى..." (ج(أنجرس، م. 2010)، وقد استعملناها للبحث عن السكان القدامى بالقصبة، نظراً لانغلاق العائلات القديمة الباقية على نفسها والذين لم يبق سوى أحفادهم وأبنائهم، بحيث كانت كل عائلة منهم ترسلنا إلى عائلة شبيهة لها في الصفات

من حيث الأقدمية وغيرها مما كون لنا عينة تراكمية عنهم. وهذا ما جعلنا نستقر على اختيار 205 مفردة.

3- التقنيات المستعملة في تحليل المعطيات:

استخدمنا تقنية **SPSS** والتي يعرفها محمد عبيدات وآخرون على أنه: "برنامج إحصائي من البرامج الشائعة الاستخدام في مجال تحليل البيانات الخاصة بالأبحاث والدراسات الإنسانية". (عبيدات، م وآخرون. 1999)، فهو تقنية استخدمناها للمعالجة الإحصائية للمعطيات المحصل عليها عن طريق استمارات المقابلة، وذلك من خلال ترميز الإجابات وإدخالها للحاسوب بحيث تكون جاهزة فيما بعد للتحليل واستخراج النتائج عن طريق أسلوب الجداول المتقاطعة التي تمكنا من الحصول على معلومات أكثر عمقا ودلالة من خلال اعتمادنا على متغيرين و أكثر.

4- التراث وأنواعه حسب القانون الجزائري المتعلق بحماية التراث 98-04:

"جميع الممتلكات الثقافية العقارية والعقارات بالتخصيص، والمنقولة الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية الإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا. كما تعد جزءا من التراث الثقافي للأمة أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات اجتماعية وإبداعات الأفراد والجماعات عبر العصور والتي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا. (أ) دهان، م. 2007).

-أنواع التراث حسب القانون الجزائري المتعلق بحماية التراث 98-04: وتشمل الممتلكات الثقافية بأنواعها، الممتلكات الثقافية العقارية والممتلكات الثقافية المنقولة والممتلكات الثقافية غير المادية. ب) دهان، م. 2007). كما يقصد بعبارة التراث الثقافي غير المادي: "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها

من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية التي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحيانا الأفراد جزءا من تراثهم الثقافي، وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل تبده الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها... ج (دهان، م. 2007).

5- قصبة الجزائر والمخطط الدائم لحفظ وإعادة الاعتبار لقطاعها المحفوظ:

تعتبر تجربة الجزائر في الحفاظ على التراث فنية مقارنة بسابقاتها إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وصولا إلى الولايات المتحدة، لذا فقد ركزنا على عرض تجربتها في الحفاظ على تراث القصبة من خلال المخطط الدائم للحفاظ وإعادة الاعتبار للقطاع المحفوظ لها في محاولة لجلس فعاليته ميدانيا عبر آليات المراقبة والتنفيذ له في ظل بعض التجاوزات والانتهاكات المسلحة من طرف بعض السكان والعمال غير المؤهلين.

ظهر مفهوم القطاع مع القانون 04-98، المتعلق بحماية التراث الثقافي وخاصة في محوره الثالث، لكن تمت المصادقة عليه في سنة 2003 من خلال مرسوم تنفيذي 324-03 المتعلق بكيفيات تسيير مؤسسات المخطط الدائم لحفظ وإعادة الاعتبار للقطاع المحفوظ، وفي سنة 2005 تمت المصادقة على إصدار المرسوم التنفيذي رقم 173.5 المتعلق بإنشاء وتحديد القطاع المحفوظ للقصبة الجزائرية. (وزارة الثقافة. 2015).

يعتبر هذا المخطط آلية لتسيير القطاع الذي يضمن له:

- التطور التناغمي والطموح للمركز التاريخي المتزامن مع الآليات التحضر المطبقة على باقي المدينة.

- إظهار الإبداع المعماري على مستوى القطاع المحفوظ في ظل احترام البناء القديم.

- الحفاظ على القيم التاريخية و الأثرية. (الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية. 2015)

• حدود القطاع المحفوظ :

تفوق حدود القطاع المحفوظ حدود التراث المصنف عالميا و وطنيا بين 91 و 92 هكتار و ذلك بإدماج منطقة ضاحيتية للحماية باعتبارها قطعة من هذا القطاع، وهذا بتطبيق القرار التنفيذي رقم 05-173 لسنة 2005 المحدد للقطاع المحفوظ للقصبة الجزائر كالتالي من شمال: من محور لوني أرزقي و شارع وادلي محمد بمساحة تغطي كل القطاع المحفوظ بالإضافة إلى الأميرالية و جزء من الميناء و البلديات المجاورة : الجزائر الوسطى من الجنوب و باب الواد من الشمال و من الغرب تتقاطع مع الحدود الإدارية لبلدية القصبة و واد قريش، و مساحته الإجمالية تقدر 105 هكتار، و مكونات القطاع المحفوظ من الشرق : الأميرالية و مسقط خير الدين ، من الجنوب يحتوي على le mole el djafna ، قاع الجفنة الواقعة في محاور الشوارع عزوز بن شاير و بقال ساعد و بون و ذبيح شريف للوصول إلى الحصن من الجنوب غربي لثكنة علي خوجة ، و من الغرب حي بوعلام بن قنة .

• **الطبيعة القانونية:** كل المعلومات المقدمة من طرف وكالة الأراضي مكنت CNERU لتصنيف الوضع القانوني لبعض التجزئات، لكن يبقى أغلبها مصنف مجهول، بحيث أن خريطة CNERU للوضع القانوني تبقى غير ناجعة بسبب صعوبة تحديد الملكية (الورثة، الملاك، المجهولين، و غيرهم...).

• **محتوى مخطط حفظ قطاع القصبة (PPSMVSS) CNERU** بحث صمم وفق ثلاثة مراحل بحث تمت المرحلتين الأوليتين في الوقت نفسه. (CNERU.2009).

- **المرحلة الأولى:** تحديد الأشغال المستعجلة تمت عن طريق أبحاث متعددة الأبعاد بمعاينة حالة مباني و شبكات و تحديد مختلف المشاكل والأمراض التي أدت إلى تدهور هذا القطاع لأخذها بعين الاعتبار في التدخل السريع الذي كان هدفه توقيف كل عوامل

التدهور، و ذلك عن طريق تقارير يرفعها رئيس المشروع مدعمة بمداول تلخيصيه لحالة كل مبنى و شبكة متدهورة ، بحيث يتم إعطاء شرح تفصيلي مؤقت لمصالح البلدية و مديرية الثقافة و لمصلحة تسيير القطاع المحفوظ و استخدامها كدليل في الأعمال (d'étayement) بحيث تأنهاء هاته المرحلة في ماي 2007 و اعتمادها في نوفمبر من نفس السنة الإعلان عن بدأ الأشغال التدخل السريع في ديسمبر 2007 .

- المرحلة الثانية : التحليل التاريخي و طوبولوجي و مشروع التمهيدي لمخطط لكي يتماشى مع الخطوة الاولى و يتطابق مع المادة 45 لقانون 04-1998 الخاص بتحديد بعض القواعد استغلال الارض و احترامها و تحديد شروط المعمارية للحفاظ على التراث عن طريق منهجية اقتراب معتمدة من جماعة CNERU و اطلق عليه اسم (التحليل النمط المورفولوجيا) يتطرق من خلالها لتركيب تاريخية طوبولوجي وعمرانية و بنائية للقطاع بإضافة إلى دراسة فيزيائية و جيوتقنية و دراسة ديمغرافية و سوسيو اقتصادية و دراسة محيطية و كذا دراسة لمختلف الشبكات ، لقد تم اثناء هذه المرحلة في نوفمبر 2008 و اعتمدت في سنة 2009(CNERU.2009).

- المرحلة الثالثة : التقرير النهائي لمخطط بحيث تمت كتابته بشكل متوافق مع مادة 03 لقرار 2003 و المتعلق بمؤسسات و مخطط الحفظ و عليه اعتمد على مراجع كل مؤسسات المتعلقة بهذا القطاع خصوص PDAU و علاقته بهذا المخطط من خلال اظهار نتائج حالة حفظ المباني، حالة مخططات الشبكات الصرف والتغذية بالمياه الصالحة للشرب و تصريف مياه الامطار المستعملة، تصريف و الحد من الأوساخ الصلبة، التعريف بإطار الديمغرافي و الاجتماعي و الاقتصادي و كذا مختلف التجهيزات العمومية بالإضافة إلى الطبيعة القانونية للممتلكات الغير منقولة و كذا مختلف البرامج المسطرة للتجهيز.

• تلخيص لحالة حفظ المباني:

على مستوى 2189 قطعة أو جزء: 83% من المباني الباقية و 17% فارغة أي 1816 مبنى باق.

30% منها بحالة جد متقدمة من التدهور 50% منها بحالة متوسطة أو سطحية التدهور 10% في حالة انهيار (أردام)، 10% مغلقة أو محوطة بأسوار.

• التدخلات الاستعجالية : لقد جاء في إطار مخطط مجموعة من التدخلات الاستعجالية من أجل توقيف أو الحد من سيرورة التدهور بالقصبة و هذا بدءا بالحالات الأكثر خطورة بالتركيز على مختلف مصادر التدهور، و قد تطورت هذه الأشغال (التدخل الاستعجالي) بمحورين، بحيث مس 717 منزل، بحيث أنالمحور الأول غطي 394 منزل، والمحور الثاني لا يزال قيد الإنجاز إذ يغطي 323 منزل. وضمت الأشغال 24 مكتب دراسة و 150 مؤسسة و هما على ميدان العمل.

أما بشأن الأعمال الاستعجالية لفترة 2007 و 2010، تمثلت في حالة حي عمار علي، بحيث تم إنشاء بطاقة تقنية لكل مبنى و تم اقتراح ما يلي : يجب إعادةإسكان السكان و إفراغ المباني من أجل ترميمها. كمايواجه المخطط مشكل انفجار سكاني بحيث تم طرح إمكانية تقليل هذه الكثافة على المباني القديمة و التي تمثل إشكالية المخطط. و تم تعداد 253 لا تتطلب إعادةالإسكان.

• ميزانية مخطط حفظ القصبة:

لقد تم رصد ظرف مالي قدره 92 مليار دينار خاصة بالقانون المالي 2013 لمدة 10 سنوات خاصة بعملية ترميم وإعادة الاعتبار للقصبة. قدر الجزء الأول بمبلغ 24 مليار دينار متعلق بالمدة ما بين 2013 و 2015 وهذا للدراسة و ترميم الممتلكات العقارية خصوصا لأحياء سيدي رمضان و عمار عليو البحر الأحمر. (الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية. 2015)

• مشروع محطة ميترو الجزائر و تراث القصبة: يقع هذا المشروع في ساحة الشهداء بالجزائر العاصمة، بحيث كشفت التقارير الأثرية المنجزة في 2008 و 2009 أن هناك تأثير كبير لهاته الأشغال على الآثار الموجودة في أسفل الأرض والتي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، هذا ما تطلب تعديل المشروع الأول لأشغال الحفر بالميترو، وكذا تقليل وتنظيم حركة الدخول و التنقل به. وهذا للتمكن من إنشاء متحف المحطة مستقبلا، بحيث تخضع أرض الميترو إلى الموقع الأثري بمساحة 3500 متر مربع وينقسم إلى عدة مناطق متقطعة ومنطقة رئيسية، بحيث ستضم مواقع متخصصة للمسافرين الميترو (محطة المنطقة الشمالية) وكذلك مكان سيخصص للمتحف (المنطقة الجنوبية). و ستكون الآثار معروضة للعامة في متحف المحطة قصد التعريف بالقصبة وتاريخها. بحيث تقرر أن تتم أشغال الهدم بالميترو وفق منهجية علم الآثار الوقائي التي يمكنها من الحفاظ على تاريخ القصبة، بحيث أن عناصر المشاهدة التي تبقى على مساحة الساحة هي نقاط الدخول إلى الميترو بما فيها المتحف، وعليه ومن هذا المنظور ستبقى ساحة الشهداء منطقة مفتوحة. (الوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة والديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية: 2014).

6- الممارسات الاجتماعية واليومية بالقصبة:

تناولنا مفهوم الممارسات ليس فقط ببعدها الثقافي المتعارف عليه المرتبط بالعادات والتقاليد في الاحتفال بالمناسبات الدينية والأفراح لكن سيتجاوزها إلى بعدها الاجتماعي المحلي اليومي، أي المتعلق بالممارسات اليومية للأسر بالقصبة داخل منازلهم من خلال مجمل نشاطاتهم المنزلية، بحيث نجد كثير من الباحثين تكلموا عن أهمية هذا النوع من الممارسات في نسج علاقات و روابط بين الساكن وسكانه وكذا مع منحوه من جيرانه، منهم "شومباردلو" و "سايل" و "باشلار"، هذا الأخير الذي أعطى تعريفا حيا لها، عندما اعتبر الأعمال المنزلية نسيجا من الروابط التي تجمع بين الماضي القلم والقريب

الجديد، بحيث توظف المرأة القائمة بالأعمال المنزلية الأثاث من سباته العميق). باشلار. 1967 في سليمان، ج. 2008)، وتعتبر كيفية استعمال السكان لوسط الدار والسطح، والذين يعتبران ركيزتا الدويرة لما يحملانه من مضامين رمزية، بحيث أن أغلب الاحتفالات بالعادات والتقاليد الحضرية "القصصية" تدور مجرياتها في هذين المجالين، وكل العلاقات الاجتماعية و الجوارية تنسج فيهما، حيث كانا بمثابة ورشة تلتقي بها النسوة لتبادل الخبرات والفنون وتلقين الصنائع التقليدية الحضرية لبعضهم البعض، وعليه فالنسوة كن يدجن الوافدات إلى المنزل وإلى القصبة ككل، عبر تلقينهن لطريقة الحياة بحضرية و مدنية، وكذا بتعليمهن طريقة استعمال المنزل وثقافة استعماله وفقا لهندسته كما أن السطح كان بمثابة نزهة تقوم بها نسوة القصبة لرؤية قصبتهن من الخارج وفرصة للتمتع بخليج الجزائر.

و عليه، فقد عمدنا لجلس نبض فئة من السكان المستفيدين من عمليات الترميم لمعرفة تأثيرها على سيرورة بعض الممارسات المحلية الحضرية الخاصة بسكان القصبة، بحيث قمنا في هذا الصدد بصياغة الجداول التالية:

جدول رقم 01: المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم وطريقة استعمال وسط الدار.

طريقة استعمال وسط الدار							الاستفادة من عمليات الترميم
المجموع	مجال لا يستعمل للسكن	مجال لا يستعمل	مجال مشغول بملاحق أخرى	مجال نسوي لتبادل الأحاديث	للأعمال المنزلية	للاحتفال	
57 100	1 1.8%	6 10.5%	10 17.5%	14 24.6%	13 23.8%	13 23.8%	نعم

273	1	31	38	57	86	60	لا
100	%0.42	%11.4	%13.9	% 20.9	% 31.5	% 22	
%							
330	2	37	48	71	99	73	المجموع
100	10.60	11.21	14.54	%21.51	%30	22.12	
%	%	%	%			%	

*المجموع 330: سؤال متعدد الإجابات.

قمنا في هذا الجدول بربط العلاقة بين الاستفادة من عمليات الترميم وكيفية استعمال مجال وسط الدار من أجل إبراز الأثر المعنوي لهاته العمليات على ثقافة استعمال المساحات الاجتماعية المشتركة والتي من بينها وسط الدار الذي يعتبر بمثابة قاعة للاجتماعات والحفلات ومجالا حيويًا لتبادل الخبرات والصنائع بالنسبة للعنصر النسوي، بالإضافة للقيام بكافة الأعمال المنزلية، بحيث وجدنا أن هناك علاقة متداخلة بين نوع وكيفية الاستعمال لهذا المجال و الاستفادة من عمليات الترميم، بحيث أن أغلب الذين يستعملون وسط الدار كمجال للقيام بمختلف الأعمال والنشاطات المنزلية فقط، كانوا من الذين لم يستفيدوا من عمليات الترميم، ما جعل هذا المجال يفقد رمزيته وخصوصيته في الاستعمال، إذ أنه من المفروض أن يكون مجالًا اجتماعيًا بالدرجة الأولى لا نفعيًا محض، كما هو عليه حاليًا، بحيث برر لنا السكان ذلك بكون هاته المساحات تشهد هذا التدهور وسط عدم مبالاة من طرف المصالح الوصية والتي جعلتهم لا يستطيعون استعمالها لا في الاحتفال بمناسباتهم ولا كمجال نسوي للالتقاء كما كان عليه في الماضي، وعليه أصبح ينظر إليه على أنه مساحة متاحة تسهل عليهم عملية تنظيف البيوت والغرف بنقل الأثاث إليها أو للقيام بعدة أشغال منزلية أخرى، هذا ما جعلنا نجد أن الذين استفادوا من عمليات الترميم فقط هم من يستعملوا مجال وسط الدار بشكل أكثر اجتماعية، لتبادل الحديث والاحتفال وزيادة على القيام ببعض الأعمال المنزلية به،

ففي ظل بقاء هذا الحيز بحالة سليمة وجيدة عن طريق استفادته من عملية الترميم، فهو صالح بنظرهم لاستقبال ضيوفهم لما يوفره من مساحة أوسع وكذا لرميزته الاجتماعية وجمال معماره، ضف إلى ذلك فان اهتمام المصالح المعنية به أسهم في استرداد وسط الدار لوظيفته الثقافية والاجتماعية وعزز ثقافة الاستعمال الحضري له الذي اعتمده أسلافهم بالمكان، ضف إلى ذلك فان عدم استفادة باقي السكان من عمليات الترميم خلق فراغا رقايا استغله السكان بشغل مجال وسط الدار بملاحق متعددة ، بإضافة مطبخ أو غرفة أو حمام وما شابه ذلك للتقليل من حدة اكتظاظ غرفهم، ما أسهم في زيادة تدهور النسيج العمراني.

جدول رقم 02:المبحوثين حسب الاستفادة من عمليات الترميم وكيفية استعمال مجال السطح:

طريقة استعمال السطح						الاستفادة من عمليات الترميم
المجموع	غرف للسكن	مجال مشغول بملاحق أخرى	مجال غير مستعمل	مجال نسوي للالتقاء	تجفيف الغسيل	
58	2	1	3	16	36	نعم
% 100	3,4%	1,7%	5,2%	27,6%	62,1%	
242	8	33	4	49	148	لا
% 100	3,3%	13,6%	1,7%	20,2%	61,2%	
300	10	34	7	65	184	المجموع
%100	%3.33	%11.3	%2.33	%21.66	%61.33	

*المجموع 300:سؤال متعدد الإجابات.

نلاحظ أن أغلب الفئة المبحوثة تستعمل مساحة أسطحها بشكل منفعي مادي بالدرجة الأولى، من خلال تخصيصه لتجفيف الغسيل، ثم بعدها كمجال نسوي للالتقاء لتبادل الحديث بالدرجة الثانية، سواءا كانوا من المستفيدين من عمليات الترميم أم لا،

وهذا إن دل فإنما يدل على أن لا يزال هذا المجال يمتلك ولو لبعض من الخصوصية والرمزية باعتباره مجال نسوي سواء أاستعمل لتحفيف الملابس أو لتبادل أطراف الحديث بين النسوة، وهذا لكونه المتنفس الوحيد في الدويرة، الذي تستطيع من خلاله النسوة الاطلاع على ما يوجد خارج الدويرة وكذا التمتع بمنظر خليج الجزائر، وجعلن منه مجاهن الحميمي الذي يحظر على الرجال الصعود إليه إلا لمهمة معينة، ما وفر لهن جوا مريحا لتبادل الخبرات والحديث بكل ارتياح. وعليه لم تظهر لنا علاقة قوية بين استفادة السكان من عمليات الترميم على كيفية استعمالها لمساحات أسطحها، لكن وجب التطرق إلى أن الذين يستعملون أسطحهم بشكل عشوائي، بإضافة غرف وملاحق وغيرها على مساحته، كانوا بكثرة من الفئة غير المستفيدة من عمليات الترميم مما يؤكد نتائج الجدول السابق المتعلقة بكيفية استعمال وسط الدار بأن عدم الاستفادة من هاته العمليات كرس شعور اللامبالاة وشجع مثل هاته الخروقات التي أنهكت نسيج الدويرات.

جدول رقم 03: توزيع المبحوثين حسب استفادتهم من عمليات الترميم ومدى رضاهم عنها:

المجموع	مدى الرضى عن عمليات الترميم			الاستفادة من عمليات الترميم
	غير معني	لا	نعم	
41	1	23	17	نعم
% 100	%2.4	%56.1	% 41.5	
164	164	-	-	لا
% 100	100	-	-	
205	165	23	17	المجموع
% 100	%80.5	%11.2	%8.3	

نستنتج من خلال هذا الجدول أن العينة التي استفادت من عمليات الترميم كانت غير راضية عنها، وهذا لعدة أسباب أرجعتها إلى ضعف كفاءة بعض من اليد العاملة المسخرة لذلك ، والتي أرسلت على حد تعبيرهم فقط لإزالة خطر وقوع المنازل عليهم وهي بعيدة كل البعد عن عمليات الترميم الحقيقية لأنهم في كثير من الأحيان استعملوا مواد غير ملائمة للترميم كالطلاء بدلا من الجير والزليج المغشوش الذي استعمل في تبليط مساحات وسط الدار، ما أذهب عنها رونقها وأصالتها المعمارية، ضف إلى ذلك طول مدة التدخلات وهذا لكثرة الانقطاعات بها، مما تسبب في تلف مواد البناء لإهمالها فترات طويلة، و زاد من تدهور الدويرة بتركها بتلك الدعائم الخشبية التي قد تسبب خطرا محققا عليهم، مما سبب استياء اكبرا لدى أغلبهم لعدم راحتهم داخل منازلهم، وجعل البعض منهم يرفضها جملة وتفصيلا .

7- نتائج الدراسة:

إن الحكم على مخطط حفظ وإعادة الاعتبار لتراث القصبة يبقى بعيدا جدا، هذا لأنه لا يزال في طور الإنجاز ولم ينته منه بعد، وكذا لوجوب اجتماع كوكبة من المختصين في مجالات عدة لإعطاء حوصلة عن إنجازاته لضخامة أهدافه وتشعبها، كما أن الذي أهمل في عقود لا يمكن احتواءه وترميمه في بضع سنين، لذا يمكن أن نقول أن عجز السلطات المكلفة بحفظ وترميم تراث القصبة على تغطية كافة الدويرات التي هي بحاجة للترميم كان لعدة أسباب مادية ومعنوية، قانونية وتقنية صعبة الاحتواء من جهة، كما أن عدم الاستفادة من هذه العمليات ألقت بظلالها على السكان من جهة أخرى، بحيث خلقت صراعات داخلية ومجالية بالقصبة، خصوصا بين الملاك لمنازلهم والمستأجرين لها، المستفيدين وغير المستفيدين، وبين الأحياء المرممة النظيفة والأخرى المهملة، الأمر الذي أوجع نزاعات ومشاكل بينهم برزت على شكل ألقاب مسيئة مختلفة يسم السكان بعضهم بعضا بها، وهم يتراشقونها بينهم عن المتسببين والمسؤولين إلى ما آلت إليه القصبة، كما

ظهرت كذلك بشكل ملموس من خلال تعاملهم العنيف مع مجاهلهم من خلال تلك التجاوزات المسجلة على دويراتها أثناء إصلاحهم لأعطائها، والتي يطلقون بدورهم عليها مصطلح "الترميم الذاتي"، وكذا من خلال طريقة استعمالها العشوائي للأماكن المشتركة بينها كوسط الدار والسطح، الذين يعتبران الوعاءين الأساسيين لخلق الممارسات الحضرية لسكان القصبة قديما، والذين خرجا عن وظيفتيهما حديثا وعطلت بهما آليتي إنتاج تلك الممارسات الحضرية المميزة للمجال، والتي ساهم في كل هذا ضعف آلية المراقبة والمتابعة الميدانية في أشغال الترميم من قبل المصالح المعنية التي سجلت تجاوزات عدة من طرف العمال وطول مدة التدخل، مما جعل السكان يكتفون مفهومين مشوهين عن مفهوم الترميم الحقيقي داخل القصبة، وفتح المجال لهم بالتعامل مع مجاهلها المادي والرمزي بكل نفعية واستغلالية ضارين بذلك تراثه عرض الحائط، كما جعلت من حالته المزرية مطية للحصول على سكن اجتماعي لهم ولكل نازح ومحروم. وعليه توجب على السلطات أثناء تنفيذها للأهداف الأولية للمخطط السهر على متابعتهم ميدانيا وتوطر ثم تشرك في ذلك سكانه الراغبين في ترميم دويراتهم، وهذا على الأقل من أجل الحد من سيورة هذا التدهور السريع للنسيج الحضري للقصبة. كما أننا بهذا لا ننكر أو نغفل عن كل الإجراءات والخطوات والشراكات التي قامت بها السلطات، وكذا الاستعانة بخبرات بعض الدول السبّاقة في الترميم، مثل إيطاليا وتركيا، لكن يبقى نشر الوعي الداخلي بأهمية التراث كمسؤولية وطنية أمر لا بد منه أولا، ثم بالحرص على إيجاد الآليات اللازمة للإشراك الميداني لكل أولئك الذين شاركوا في بلورة المخطط نظريا من باحثين أثريين، خبراء، مهندسين وتقنيين، المجتمع المدني، وخاصة إشراك السكان المعنيين به مباشرة، بحيث ننهي في هذا السياق على المبادرة التي كانت بإشراف "جعفر لسبت" بالتعاون مع جمعية حماية القصبة في تنظيمهم لمسابقة أحسن منزل لسنة 2013، وأحسن حي لسنة 2014، والتي مثلت دفعا للسكان للحفاظ على مساكنهم لما غرسته من وعي بقيمتها

التراثية و التاريخية، لكن تبقى مبادرة أو اثنتين كهذه في السنة غير كافية للنهوض بتراث بلد بل يتطلب جهود وسواعد كل فئات مجتمعنا وعلى مدار الزمن لأن ما أهمل بعوامل شتى لا يرمم ويستعاد إلا بتظافر سواعد حاضرة وواعية في كل وقت ومع كل مناسبة.

المصادر والمراجع

- 1- جمال عليان : الحفاظ على التراث الثقافي، مطبعة الساسة الكويت 2005 .
- 2- حسن حنفي: التراث والتحديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ب. س.
- 3- سليمان جميلة: علاقة الفضاء المتري بالصحة النفسية لدى سكان أحياء القصبة، أطروحة دكتوراه 2008.
- 4- عبدالناصر عبدالرحمن الزهراني: إدارة التراث العمراني : جامعة الملك سعود كلية السياحة و الآثار، الرياض 1433 هـ / 2012 .
- 5- غادة عاطف سند وآخرون: بحث في الحفاظ على التراث، ص ص 1-49 ، جامعة طنطا، مصر ، ب. س.
- 6- زيدان حليلة: المدن العتيقة بالجزائر بين التدهور و محاولة الحفاظ، حالة مدينة تقرت، ماجستير، جامعة أم بواقي 2007
- 7- موسى دهان: النظام القانوني لحماية التراث الوطني، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2007 .
- 8- محمود نجيب زكي: التراث والحضارة، مجلة العربي ، عدد 30 .
- 9- نادية بوزيد وسامية مقران: القصبة روح الماضي وريحان المستقبل، مؤسسة الأمير خالد بولوغين الجزائر، 2006.
- 10- يوسف محمد عبد الله: الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته، حصنعاء اليمن، ب. س

11- Alpe (Y), Lambert (J.R) et al : lexique de sociologie, 2 eme édition, éd Dallouz ,paris, 2007.

12- Bourdieu (P), Médiation pascalienne, Seuil, 1997, p 220, in Chauvie (CH) et Fontaine (O): le Vocabulaire de Bourdieu, éd ellipses, Paris, 2003.

الهيئات والمصالح الرسمية

- وزارة الثقافة: الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية OGEBC. والوكالة الوطنية للقطاعات المحفوظة ANSS و خلية القصبة، بلدية القصبة: مصلحة التعمير.

- Centre National d'Eudes et de Recherches Appliquées en Urbanisme (CNERU), Alger, PPSMVSS de la Casbah d'Alger, édition finale 2009 ,30.Rue Hassan Ben Naamane Bir Mourad Rais – Alger.